العرب
الخميس 2020/04/09
السنة 42 العدد 11672

«أثخن فيهم يا خميني».. هكذا كتب الإخواني النفيسي

مقالة النفيسي هي رسالة لكل الإسلاميين أن أثخنوا بخصومكم

الإسلاميون ظلوا على سلوكهم منذ زمن الخميني

رشيد الخيون
كاتب عراقي

كتب الإخواني الكويتي عبدالله النفيسي، ضمن زاويته "استراحة الخميس" في صحيفة "الهدف" الأسبوعية الكويتية، بتاريخ 14 يونيو 1979، تحت عنوان "أثخن فيهم يا خميني.. بوركت يداك" تأييدا للإعدامات التي نفذها نظام الخميني في إيران، وحينها تولى المحكمة الثورية صديقه محمد صادق خلخالي، الذي توفي 2003 بعد إصابته بمرض الزهايمر، وقبل أن يفقد الذاكرة كتب خلخالي مذكراته تحت عنوان "أيام العزلة"، ففي أواخر حياته عُزل من قبل المقربين له، ومن النظام نفسه، بعد أن نفذ ما عليه، من وقائع دموية، فالإعدامات كانت على أشدها في بداية انتصار الثورة الإسلامية.

لسنا معنيين بحياة وتقلبات وادعاءات عبدالله النفيسي، بقدر ما نركز على مقالته هذه، ليس تكشفا عن دموية الإسلاميين، وكل قتل يفسرونه حقا من حقوق الله، فقد اعتبر الإعدامات التي جرت من قبل النظام الإسلامي الثوري بإيران، وطال المئات من النظام السابق، ومن غيرهم، أنه واجب ديني، منصوص عليه في القرآن، ويستشهد بقضية العرنيين، الذين قتلهم النبي محمد، كونهم أفسدوا في الأرض، هكذا يسقط النفيسي حوادث الماضي على الحاضر، دون أن يعتبر الاغتيالات التي قام بها الإسلاميون بمصر وغيرها فسادا في الأرض.

حشد النفيسي في مقاله، الذي نُشر في أوج الفوضى والإعدامات في إيران، العشرات من الآيات القرآنية، كي يدلل على شرعية القتل، ولم يفقه أنه يعارض فسادا بفساد. لم يكن النفيسي عام 1979 خارجا من سرب الإخوان في تأييد النظام الديني بإيران، وكانوا ينظرون إلى تلك الثورة بأنها فاتحة عصر جديد لهم. فالدول، حسب منطقهم، ستتساقط تحت ظلال سيوفهم. ارتكب النفيسي في مقاله هذا، ولا أظن أن الرَّجل قد راجع نفسه وعاد إلى صوابه وإن كان يتحدث عن إيران حاليا بشكل آخر، خطيئة التحريض على القتل، ليس بإيران، وإنما أعطى الشرعية لكل إسلامي أن يقوم بمهمة القتل بعذر محاربة الفساد، وهنا لم يكن النفيسي بريئا من إشاعة التعصب والتَّطرف، بل هذا المَقال يُعدّ به كاتبه مساندا للإرهاب.

يقول النفيسي في مقاله المذكور "إن الإفساد المقصود شامل لإفساد العقول والعقائد والآداب الشخصية والاجتماعية والمرافق من زراعة وصناعة وتجارة ووسائل التعاون بين الناس". فعن أي عقول يتحدث وعن أي زراعة وتجارة؟ وهو يشرعن القتل، وأخذ الثأر، وهل هناك تخلف أعمق من التحريض على الثأر، وتوظيف النص الديني للقتل والقمع؟ كان مقال النفيسي دليلا ساطعا على دموية الإسلاميين، الدموية الشرسة المبررة باسم الله.

إن استشهاد النفيسي بالآية "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (المائدة- 32-34)، يعني أن الإخوان، والإسلاميين بشكل عام، بالنسبة له، هم أهل الله وحزب الله، وهم النبي، فمَن يعارضهم يواجهونه بهذه الآية، وبأسباب نزولها، التي كانت تعني سرقة الجمال وقتلوا راعيها ومثلوا به، وهي تعود للنبي. فكل حكم في الأرض يُعدّ في عرف الإسلاميين فاسدا، لأنه لا يمثل الله مثلما يمثلونه.

كم أفسد الإسلاميون وهم خارج السلطة وفي داخلها، وما لم يحسب حسابه عبدالله النفيسي أن الأحزاب الدينية وغير الدينية لم تكن مقدسة، وهذا مازال يغفله. فالإسلاميون أول مَن دشن الاغتيالات السياسية بمصر باسم الدين، وهم أجازوا التفجيرات ومارسوا "التترس" (لقتل شخص يعذرون قتل مئة أو أكثر)، في زمن معارضتهم، ولا يتأخرون عن حرق الأرض وما عليها في حال تهددت مصالحهم.

كان مقال النفيسي "أثخن بهم يا خميني.. بوركت يداك"، جزءا من "الصحوة الإسلامية"، التي أرادت عودة المجتمعات إلى ما سموه بالجاهلية، وحثوا على انقلاب في التعليم وفي الحياة العامة، فصار أتباعهم يحصون على النَّاس الأنفاس. ما هو المثال الذي انتظره النفيسي من الثورة الإيرانية؟ هل انتهى الفساد، وهل منع عدلها من حنين الإيرانيين إلى النظام السابق؟

لا يُنتقد عبدالله النفيسي، كإسلامي بدأ بالإخوان، بتأييد الثورة الإيرانية، وكيْل المديح للخميني، فقادة إخوان كثيرون اعتبروه أحد أئمة العمل الإسلامي، لكن ما أفصح عنه من تأييد القتل بعبارة "أثخن فيهم..."، لم يتجرأ أي إسلامي وإرهابي على الإفصاح عن هذا الشعور الظلامي، ومعلوم ما يعني الإثخان بالدماء في ظرف مضطرب، لا يُحاسب القاتل فيه.

لم تكن مقالة النفيسي، الموغلة بالعنف والكراهية والدم، تعني الخميني لوحده، إنما هي رسالة لكل الإسلاميين، أن أثخنوا بخصومكم، وأنتم تحملون سيف الله بيد وسيف النبي باليد الأخرى. استشهد النفيسي بالعنف الذي كانت تبثه أفكار سيد قطب (أعدم عام 1966)، في تفسيره لهذه الآية "ولا يفسدون في الأرض بترك شرعه إلى هواهم بعد أن أصلحها الله بمنهجه"، غير أن سيد قطب نفسه أنتج أفواجا من المفسدين بالدماء، من الجماعة الإسلامية بمصر، إلى القاعدة وداعش وجبهة النصرة وغيرها، وكان على خامنئي أول مَن ترجم لقطب إعجابا بخطاب التشدد والعنف، وترجم له إلى الفارسية "المستقبل لهذا الدِّين"، ومؤخرا صدرت ترجمته لـ"في ظلال القرآن". لقد لخص النفيسي بشكل لا يقبل النقاش العنف الإسلامي، على أنه عنف مقدس، يتم باسم الله ونبيه وآيات كتابه.

لكن ما يثير العجب أن النفيسي، وبعد أربعين عاما، وفي مقابلة تلفزيونية، يبرر تأييده للقتل، والعذر هذه المرة القضية الفلسطينية، وسيطرة اليهود على التجارة بإيران، وجد هذه الأعذار بعد أن سقط حلمه الإسلامي بالثورة، فراح يبرر بقضية فلسطين، التي جعلها الإسلاميون على العموم سببا لشعبيتهم(https://www.youtube.com/watch?v=rwo__cmj6j24).

كنتُ قرأت عنوان ما كتبه النفيسي في مقال للباحث الكويتي خليل علي حيدر، ثم سمعتها من النفيسي نفسه عبر مقابلة تلفزيونية "الصندوق الأسود"، تقديم الإعلامي الكويتي عمار تقي، وبقيت أبحث عنها، فلم يعط النفيسي الصحيفة التي نشر مقالته فيها، في ذلك الوقت (عام 1979) لم يكن الإنترنت ولا غوغل يقدم خدمته البحثية، حتى التقيتُ الصديق الأكاديمي والكاتب الكويتي سعود راشد العنزي الأستاذ المساعد لعلم الاجتماع في قسم الدراسات الاجتماعية في كلية التربية الأساسية بالكويت، فوعدني بالعثور عليها، فأرسل لي صورة طبق الأصل من صحيفة "الهدف" فيها المقال مشكورا.

نُشر مقال عبدالله النفيسي "أثخن فيهم يا خميني.. سلمت يداك"، قبل أكثر من أربعين عاما، ومازال الإسلاميون على سلوكهم لم يغيروا شيئا، وكاتب المقال نفسه يبرر ولا يعتذر للضحايا، ولم يعتذر لخطاب الكراهية والقتل، متسلحا بما كان يكتبه مؤسس الإخوان حسن البنا "صناعة الموت" (1937)، ثم أعاد نشره بعد سنوات في الجريدة نفسها "الإخوان المسلمون" (العدد 90) بعنوان "فن الموت" (السَّيد يوسف، الإخوان المسلمون وجذور التَّطرف الدِّيني والإرهاب في مصر).

حشد النفيسي في مقاله، الذي نُشر في أوج الفوضى والإعدامات في إيران، العشرات من الآيات القرآنية، كي يدلل على شرعية القتل

ولاة الفقيه والحريدم معا: الرب يكفينا كورونا

أوجه شبه كثيرة تجمع بين تعامل دولة الولي الفقيه في إيران مع تفشي فايروس كورونا، وتعامل متشددي "الحريدم" في إسرائيل. العقل الديني الكامن في المثالين استعاض عن الأجوبة العلمية بأجوبة اتكالية ربانية، فكان أن زاد انتشار الفايروس في مناطق نفوذ العقلين، في قم وبني براق.

محمد طعيمة
كاتب مصري

حُجر على أقدس مشاعر المسلمين، وألغي الحج.. الفريضة الأعظم، والعمرة لعشرة شهور، وعطلت الصلوات في الفاتيكان الكاثوليكي وكنائس الشرق الأرثوذكسية. في المقابل تحركت قوات الباسيج، شرطة ولاية الفقيه الفارسية، وحشود من "المؤمنين" لفتح ضريحيْ المعصومة فاطمة في قم والإمام الرضا في مشهد الإيرانيتين، بعد أن أغلقتهما السلطات الصحية للحد من تفشي كورونا، بالتوازي مع حرب شوارع خاضها الحريدم في القدس المحتلة لمنع إجراءات صحية رأوها تمس "سلطة الرب".

قوس شكلته تمردات سلفي/ حريدم عقائد مختلفة على قواعد العلم والسلامة الصحية، وسط وباء يستنزف البشرية. قوس اخترق الحدود الدينية على تناقضاتها، لكنه اتفق على تغييب العقل، محتميا بتوهمات حماية "ربّانية". لا نتحدث عن سلوك فرد أو جماعة، بل عن مفاهيم فقهية تعود بدماغ بعض البشر إلى ما قبل الحضارة، متجاهلة تراكمات العلم عبر آلاف السنين.

كانت أجواء قم، ومازالت، مصدر الوباء داخليا و"شيعيا"، ورغم هذه الحقيقة الملموسة، تستّر عقل ولاية الفقيه خلف حالة إنكار ترفض الربط بين ما يراه مقدسا وبين مرض ما. وفي توجه عكسي أفتى المرشد الأعلى للمنظومة ودوائر مرجعياته، بأن العلاج يتحقق بالدعاء وبزيارة مصدر الداء قم! ليُغرقَ الشعوب الإيرانية في موجات من تفشي الفايروس، لا يعلم أحد مداها، لكنها تبقى الأكبر خارج الغرب.

هكذا رأينا العشرات من الفيديوهات لعمائم سوداء تعزف على نغمة إنكار ما تعيشه هي نفسها، وأودى بحياة تروس بارزة في ماكينتها الدينية، وسخر بعضها من تطهير فضاءات الأضرحة والمزارات بمواد كيمياوية.. "كيف وهي تُزارُ أصلا للشفاء من الأمراض". هكذا اعتقدوا أنهم أفحموا دعاة تحكيم العقل، واللجنة الوطنية لمكافحة كورونا التي كلفتها حكومة حسن روحاني بإدارة ملف الوباء.

تبدو اللجنة الإيرانية مغردة خارج طبيعة الدولة وقطاعات واسعة من المجتمع، فمنظومة ولاية الفقيه لا تعرف منطق الأمور ولا البديهيات العلمية، لتنفرد بين الدول التي غزاها الفايروس بـ"التعايش معه وديا"، فلا إجراءات مما اتخذتها الدول الأقل منها تضررا بمراحل، الرحلات الجوية مستمرة، وزيارات الأضرحة كما هي، ومنها خرج الوباء لشيعة الخليج والعراق ولبنان وسوريا.

حتى الأسبوع الأول من أبريل، كانت دوائر تفشي كورونا في الأضرحة الفارسية ناشطة كما كانت منذ أطلقت رصاصتها الأولى نحو رئة معتقدي المذهب، لنتابع فيديوهات باصات تأتي بالمئات من "المؤمنين" الشيعة من الهند وباكستان إلى قم ومشهد، رغم خطورة عودتهم بالمرض لينقلونه إلى مخالطيهم حيث تجمعات الطائفة في بلدانهم، رغم تأكيد حسن روحاني يوم 29 مارس الماضي "انتشار الفايروس داخل مجتمعنا، وأنه قد يواصل وجوده لعام أو عامين".

خلافا لمدرسة ولاية الفقيه، أعلن المرجع الديني الأعلى في العراق، آية الله علي السيستاني، وقف إقامة صلوات الجماعة في المساجد ودعا التابعين للالتزام بمنع التجمعات، معتبرا أن الحرب على كورونا "واجب كفائي"، لتظهر مراقد النجف خاوية.

لكن الاختراق الإيراني المتنامي في بلاد ما بين النهرين منذ سقوط نظام صدام حسين، تجاهل المرجعية الأعلى للدولة والشعب العراقيين، والأعلى كونيا للشيعة. وتجرأت عمائم سوداء عراقية، هواها فارسي، لتتمرد علنا عليه. هاجمت دعوات تقييد زيارات الأضرحة في إيران، وأطردت مطلقيها من جنة المؤمنين، وحاربت تعليمات مرجعية النجف بتقييد ثم حظر زيارات "المراقد"، لأنها، وفق حالة إنكارها، "تجلب الشفاء" لا تسبب المرض.

قبل الحظر، حذّر خطيب عراقي شيعي معروف زائري مرقد الإمام الحسين في كربلاء من ارتداء الكمامات "لأن ذلك لا يليق بزيارة الإمام"، ولأن "التوقي ضد كورونا استهانة بقدرة الأئمة على حماية زوارهم".

عبر الحدود في فلسطين المحتلة، بالقدس الغربية وبمستعمرات صهيونية يسيطر عليها "متدينو" الحريدم، نسخة من ذات ذهنية ولاية الفقيه. فقد رفضوا تمكين سلطات الاحتلال الإسرائيلي من تعقيم حائط البراق، المبكى يهوديا، لأن "بيت الرب لا يحتاج تطهيرا" وفق ما يعتقدون. وصفهم يهودا ميشي زهاف، رئيس منظمة الإسعاف (زاكا) لراديو جيش الاحتلال بأنهم "قنبلة موقوتة لأن بعضهم مصاب بالعدوى".

وحسب مشاهد فيديو وتقارير متتالية لوكالة رويترز، الأسبوعين الأخير من مارس والأول من أبريل، استخدمت الشرطة الإسرائيلية طائرة مُسَيرة وأخرى هليكوبتر وقنابل صوت، أياما متعاقبة، لمنع حشود يهود متشددين في حي يستعمرونه غرب القدس المحتلة، يسمونه "ميا شعاريم". وما إن تفرقهم حتى يعودوا للتجمع، مصرّين على خرق إجراءات صحية تهدف لإبطاء تفشي كورونا. كانوا يردون على تحركات الشرطة بالشتائم واللعنات الدينية وبهتاف "نازيون". وإضافة إلى بث رسالة "ابق في المنزل" من الطائرتين الهليكوبتر والمُسَيرة، نفذت الشرطة غرامات بحق من تضبطهم، لم تردعهم.

والحريدم أكثر عرضة للعدوى لأنهم يقطنون، عادة، مناطق فقيرة ومكتظة، ورغم تفشي الوباء بينهم، مسجلين نصف إصابات الكيان الصهيوني، تقارب العشرة آلاف، فإنهم يتمسكون بفتاوى حاخاماتهم، التي تلزمهم بالصلاة ثلاث مرات يوميا وسط تجمعات كبيرة. واضطرت الشرطة لاستخدام القوة لإغلاق كنيس تحدى أوامر وزارة الصحة، لكنها فشلت في منع مشاركة المئات من الحريدم في جنازة متوفى بكورونا في مدينة بني براق المجاورة لتل الربيع / تل أبيب، حيث الكثافة السكانية مئة ضعف المعدل العام.

متشددو الحريدم نسخة من ذهنية الولي الفقيه

بني براق توازي قم الفارسية، 38 في المئة من سكانها، 200 ألف نسمة، مصابون بالفايروس، وبها ثلث حالات يهود الكيان. وقالت الحكومة الإسرائيلية الخميس الماضي إن الجيش سيجلي 4500 مسن، 80 عاما فأكثر، منها بالقوة، لعزلهم في فنادق صغيرة. بينما طالبت وزارة الصحة بفرض حجر كامل عليها، وهو الأرجح تطبيقا رغم رفض حاخامات الطائفة.

قوس شكله تمرد عقائد مختلفة على قواعد العلم والسلامة الصحية. قوس اخترق الحدود الدينية على تناقضاتها

تغييب العقل وادعاء الحماية الربانية، في زمن كورونا، ليس قاصرا على دين أو طائفة، تابعنا مشاهد عابرة للمعتقدات، من تجمعات هندوسية، في الهند للعلاج بـ"بول البقر" المقدس، إلى تمرد خطباء مصريين على حظر صلاة الجماعة، وتظاهرات ضد الفايروس في الإسكندرية تستند لفكر "اتكالي" على الحماية الربانية، في المدينة الساحلية المصرية ربطه هتاف بـ"لبس النساء للبنطلون".

لكنها تظل حالات فردية عابرة، تواجهها دولها بحسم، حتى في إسرائيل الكيان القائم على أساس ديني. وحدها ولاية الفقيه الفارسية التي يتوحد فيها دماغ الدولة والمرجعية الدينية وقطاعات مجتمعية واسعة، للعودة إلى ما قبل التحضر، والتعايش مع كورونا.